



مقاييس جمال الأنثى في حكايات "ألف ليلة وليلة"

مقدمة:

شغلت المرأة، على مرّ العصور، إهتمام الرجل، فتغنّى بحسنها وأشاد بجمالها ووصف مفاتها.. وقد عبّر أصحاب الفكر والقلم، من أدباء وشعراء وكتّاب عن جمالها، والصفات التي تلفت نظرهم وتجعلهم يميلون إليها ويهتمون بها. لذلك نرى أن الشعوب المختلفة قد وضعت، في كل عصر، مقاييس للجمال يرونها في الأنثى، ويركزون على ما يشدّهم نحوها وما يرونه الأجل والأحسن. وهذا ما سنحاول تسجيله من خلال حكايات وقصص كتاب "ألف ليلة وليلة"¹.

نال هذا الكتاب، كما نعلم، شهرة واسعة وانتشاراً كبيراً. فقد قرأته شعوب كثيرة متنوعة متعددة، وكل منها أضاف إلى حكاياته وقصصه، وصبغها بثقافة بلده.

وكما يدل عنوانه، فقد ضمّ الكتاب عدد من الليالي وهو (1001 ليلة) إحتوت على مجموعة كبيرة من الحكايات والقصص والأحداث والوقائع، التي قد نصفها بأنها تاريخية، غرامية، تراجمية، كوميدية، وامتزجت فيها الأسطورة والخيال بالواقع والحقائق والعلم. فكثر الشعر والنثر، وقصص الجنس والجن والقردة والسحرة والشعوذة والبطولة والحروب...

نستطيع وصف أسلوب هذا الكتاب بأنه مشوّق، يشدك لمتابعة القراءة، وبأنه متين العبارة الواضحة، حسن السبك، دقيق الوصف، يكلمك بلغة الفصحى أحياناً، وأحياناً أخرى نرى هذا الأسلوب يتصف بال تكرار والسجع الممل، ثم ينحدر ليبعد عن الحياء والحشمة والأدب واللياقة.

¹ فقد إعتدنا في بحثنا هذا على النسخة التي هي من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، وهي من أربعة أجزاء.

انتشرت حكايا الكتاب في الغرب كإنتشار النار في الهشيم. فقد ترجمت إلى اللغات الفرنسية والألمانية والإنكليزية والدنماركية، فاطلع عليها الخاصة والعامة، وبالتحديد الأدباء الكتاب وأصحاب الفكر والقلم، وتأثروا بقصصه وحكاياه، واستلهموا منها أعمالاً كثيرة ظهرت في السينما والتلفزيون والموسيقى وفنونهم التشكيلية وغيرها.

وقبل البحث بمقاييس جمال الأنثى في قصص "ألف ليلة وليلة"، نشير إلى تنوع صورة المرأة في هذه القصص؛ حيث يصادف كل من يقرأ الليالي: المرأة الملكة، العالمة، طيبة القلب، المحاربة، المنتصرة، الذكية، الحليمة، الحكيمة، الزوجة الصالحة الخيرة المخلصة، المحبوبة. كما يصادف العاشقة المعشوقة، المغرية، الشبقة. وفي المقابل سيصادف أيضاً المرأة القاسية، الجبارة، المنتقمة، الشريرة التي تحيك المؤامرات والذسائس، الغدارة التي يعميها الحسد والكيد، والمرأة المبتذلة الدنيئة، وكل الأنواع والأصناف التي تخطر بالبال.

ولإبراز المقاييس الجمالية للأنثى سنعاين تفاصيل جسمها وتسجيل النصوص حرفياً كما وردت في الليالي ونضعها بين مزدوجين. وهكذا سنبدأ من: القامة (القد)، البشرة والوجه (الشعر، الجبين، الحاجب، الطرف، العينين، الأنف، الخد، الفم والشفاه، الأسنان، الرضاب). ثم ننتقل إلى العنق، فالصدر والنهد، الخصر، البطن، الأرداف، وبعدها إلى الساقين (الفخذين والرجلين). وأخيراً نتجه نحو أمور أخرى كالمنطق والكلام واللبس، الأدب والعقل والفتنة وغيرها.

1- القامة (القد):

القد هو قامة الإنسان، وجسمه وقوامه. وصف القد بالرشاقة: "صبية رشيقة القد" و"قدها أرشق من القضيبي". وبأنه "طويل جميل"، وكأنها قادمة من حور الجنة، في مؤخرة عيونها بياض شديد مع شدة في السواد.

"ممشوقة القد من حور الجنان لها وجه جميل وفي ألقاظها حور"، كما قيل عنه:
"خماسية القد". وقد تغنوا بالجسم الطري الناعم: "جسم أئين من الزبد"، والقد المعتدل
الملفوف المغتول: "وهي ذات قد معتدل وجسم منجدل".

وشبهت القامة بغصن البان المعروف بالطول والليونة والرائحة الحلوة الطيبة: "قامة
كغصن البان". وتتعالى هذه القامة على غصون البان وتفضحها: "وقامتها تفضح غصون
البان" و"قدھا يُخجل الأغصان، كما تُخجل الرماح الصلبة المستقيمة (السمهريات):

"تزهو علي بألقاظ بديعات وقدھا مُخجل للسمهريات

هيفاء يخجل غصن البان قامتها لم يحك طلعتها شمس ولا قمر"

"هذه الصبية قامت بحسنها وقدھا على غصون البان، وعلى قضيب الخيزران"².

وشبه جمال الجسم بالقول: "قد رجيح". أو شبهت الصبية بالجوهرة الثمينة: "فوجد

صبية كالدرة السنية، أو القبة المبنية بقامة ألفية خماسية".

2- البشرة والوجه:

تحت هذا العنوان سنرى الجمل والعبارات التي تدل على جمال الوجه والبشرة بصورة

عامة، ثم بعد ذلك نفصل ما يتواجد في الوجه كالجبين والعينين والأنف والفم وغيرها..

يبدو أن الذكور يميلون إلى صاحبة البشرة البيضاء المنيرة. وفضلت البشرة الناعمة

الملساء التي قيل فيها: "لها بشرة مثل الحرير ومنطق رخم³ الحواشي لا هراء ولا

هذر"⁴.

وقد شبهت بالبدر فقول: "بيضاء كأنها البدر إذا بدر ليلة أربعة عشرة". وأيضاً:

"أحسن من البدر ليلة تمامه"، "جارية كأنها البدر عند تمامه"، "وجه كالbدر في الإشراق"،

² الخيزران: من الأعشاب العملاقة.

³ رخم: لين، عذب، رقيق.

⁴ هذر: كلام يكثر فيه الخطأ والباطل.

"ولها بطن أبيض من الثلج". وورد أيضاً في هذا الصدد: "إذا تأملتها ناديت من عجب
البدر في ليلة الإكمال قد طلعا".

ويلاحظ في هذا المجال أن الرجال يفضلون وجه الأنثى المستدير الذي يشبه القمر:
"ووجهها منير كالقمر مستدير"، "صبية كأنها البدر في أفق السماء". كما يفضلون الوجه
المنير المشرق: "ووجهها أضواً من الشمس". ثم شبه الوجه بأيام الوصال، وصال العاشق
بمحبوبته، الذي يتميز بالفرح والسعادة والراحة: "وأما وجهها كأيام الوصال".

ووصف الوجه أيضاً بالملاحة والجمال: "صاحبة وجه مليح"، وهي "من أحسن
البنات المخدرات بوجه جميل". وجه كالورد عندما يُشبهه بالتفاح: "ووجه كتفاح"، أو "ولها
وجنتان كرحيق الأرجوان"⁵.

الشعر: يفضل الشعر الطويل "شعر طويل"، والأسود والأشد سواداً من الليل الحالك:
"وشعر أسود من الليل...". وشبه الشعر بليالي الهجر الموحشة لسوادها: "..أما شعرها
فكليالي الهجر". أما ذوائبها⁶ فقليل فيها:

"ذوائبها ليل لكن جبينها إذا أسفرت يوماً يلوح به الفجر".

وقد تغنوا بالغرّة، والتي هي مجموعة من خصل الشعر تمتد من خط الشعر الأمامي
من فروة الرأس إلى الأسفل لتغطي الجبين أو الجبهة، وتكون على شكل قوس أو كالهلال:
"..وغرّة كهلال عيد رمضان". كما شبه الشعر بالأرسوان: "وشعر كالأرسوان".

الجبين: لقد مرّ معنا أن المفضل هو بياض لون البشرة، وهذا ما نجده هنا في وصف
الجبين بأنه مشرق وضاء: "جبين أبلج" أو "جبين أزهر" أو "جبين واضح" لإضاءته.

الحاجب: هو العظم الذي فوق العين بلحمه وشعره. وما ورد في قصص الكتاب يشير إلى
أن المفضل بالحواجب أن تكون مقرونة، أي متصلة ببعضها: "حاجبين مقرونين"، وأن

⁵ الأرجوان: صباغ أحمر، سمي بالصباغ الأميراطوري.
⁶ الذوائب: الشعر المتدلى من الضفيرة التي تصنعها النساء.

يكون الحاجب مقوساً على شكل هلال: "حاجبين كأنهما هلال شعبان". وأن يكون مرججاً (كثيفاً): "حاجب مرجج" أو "حاجبين أزجين"⁷ أو أن تكون الحواجب والجفون ناعسة: "حاجبين وجفنين ناعستين".

العينين: العيون المفضلة هي الدعاء⁸: "دعاء العينين"، "وعيون تحاكي عيون الغزلان"، إشارة لكبرها ووسعها، أو "عينين كحلاوين" أو "بعينين كحلتين"، أي كأنها مزينة بالكحل، وهو المادة المستعملة لتجميل العين. والعيون الجميلة هي من صنع الله تعالى أولاً وأخيراً، وهي تفعل في النفوس والقلوب ما تفعله الخمر من فرح وانسراح وضياع، وهذا ما يعنيه القول التالي: "عينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألأباب ما تفعل الخمر"

كما تشير الحكايات إلى جمال العيون التي في طرفها حور: "وطرف أهدب⁹ وصدغ معقرب، ذات طرف أحور".

الأنف: الأنف المرغوب هو المستقيم المصقول كحد السيف: "لها أنف كحد السيف المصقول"، "وأنف أقنى كثير اللعان"، وهو الأنف الطويل مع دقة الأرنبية، مرتفع القصبة مع حذب فيها.

الخد: الخدود المطلوبة هي ذات اللون الأحمر الموردة: "موردة الخد"، "لها خد كشقائق النعمان" التي تتميز بلونها الأحمر، "وخدان كأنهما شقائق النعمان". وللدلالة على جمال الخدود وصفت كأنها التفاح المحبب للجميع: "وخدين كأنهما تفاحتان". وللتعبير عن جمالهما أن الورد ذو الرائحة الطيبة يطلب الود والأمان منهما: "والورد يطلب من خدها الأمان". كما أن الخدود المرغوبة هي الأسيلة، أي الملساء الناعمة المستطيلة: "أسيلة

⁷ أزجين: رقيقين طويلين مقوسين.
⁸ الدعاء: الواسعة، الشديدة السواد والحدقة.
⁹ أهدب: من كثرت أشعار عينيه.

الخد"، وخاصة المزينة بشامة تضيف إليهما الجمال والحسن والملاحة: ".وعلى خدها الأيمن شامة". وقيل في وصف الخدود الموردة المنيرة الوضاء:

"تبدو إلينا وخداما موردة فيها من الظرف أنواع الملاحظات

كأن طرتها¹⁰ في نور طلعتها ليل يلوح على صبح المسرات"

الفم والشفاه: للفم مكانة خاصة في تأكيد جمال المرأة، ففيه الشفتان وداخله الأسنان والرضاب¹¹، وكلها أمور تؤكد على حسنها وجمالها وحلاوتها، وقد أشار إليها كتاب "ألف ليلة وليلة" في قصصه وتغنى بها.

لقد شبه الفم بخاتم سليمان: "لها فم كأنه خاتم سليمان"، للإشارة بأن له قوة سحر كما لهذا الخاتم، وبأن الفم "يلعب بعقل الناظم والناثر". وللدلالة على أن للفم التأثير الكبير المباشر قيل: "والأقحوان¹² يبتسم عن بارق ثغرها" و "ثغر ألد من الرحيق¹³".

أما الشفاه التي ترسم حدود الجمال، وصفت بالجواهر والدرر التي لا تُثَمَّن: "وشفتان كالمرجان¹⁴ والعقيق¹⁵". "وشفتان كأنهما مرجان"، أي أن لونهما أحمر، و"ثغرها كالأقحوان". أما الرقة والنعومة هما من الصفات المطلوبة للشفاه: "وشفتين رقيقتين". وشبهت الشفة بالخمرة التي تسلب العقل والقلب: "وشفة كالراح"، "وشفتان طريتان أطيب من العسل"، "ولها شفتان حمران ألين من الزبد، وأحلى من الشهد".

الأسنان: نتابع ما يتصل بالفم، لتكلمة مقاييس الجمال، وهي الأسنان التي وصفت بالؤلؤ المنتظم الذي يوضع في الحلق من الحلي الذهبي الخالص: "وأسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان¹⁶"، أو كأنها عقد من فضة: "وأسنان كأنها عقد جمان¹⁷". ومن جمال

¹⁰ الطرة: الشعر الذي على جبهة المرأة.

¹¹ الرضاب: الريق.

¹² الأقحوان: هو النبات الزاهر الذهبي.

¹³ الرحيق: سائل سكري من الزهور.

¹⁴ المرجان: حجر كريم، هو أحد المواد العضوية، يصنع منه الحلي.

¹⁵ العقيق: حجر كريم، نوع من المرو، له ألوان قاتمة، منه الأحمر والأصفر والأبيض والأزرق...

¹⁶ العقيان: الذهب الخالص.

الأسنان أن تكون بيضاء نظيفة: "بيضاء الأسنان، حلوة اللسان". ويختم أمر الجمال بإبتسامة رائعة: "حسنة الإبتسام كأنها بدر التمام".

الرضاب: يتابع الكتاب بطرح مقاييس جمال الأنثى ليصل إلى الرضاب¹⁸، وهو الشهد، له الطعم الطيب اللذيذ: "وريقها أحلى من الشراب" وأطيب من الرحيق، ذلك السائل السكري الناتج عن الأزهار وأوراقها: "وريقها أشهى من الرحيق، يطفئ مذاقه عذاب الحريق". حتى أن هذا الريق يتعالى على الرحيق: "أما الريق فإنه يهزأ من الرحيق"، وهو أطيب من الجلاب¹⁹. وكأن هذا الريق شهد مزج بالمشروب الذي يفرح العقل والقلب، ولذلك قيل: "كأنما ريقها شهد وقد مزجت به المدامة"²⁰ لكن ثغرها درر".

ويصل إلى حد المبالغة ليوصف الريق بأنه الشراب العذب الذي يشفي المرضى: "وريقها يشفي العليل، كأنه الكوثر"²¹ والسلسبيل²².

3- العنق والصدر - النهدي:

هنا يتفنن الكتاب بأوصاف الصدر عامة والنهد خاصة. ومعروف أن العنق هو ما يعلو الصدر الذي شُبه بأنه سبيكة من الفضة: "عنق كسبيكة فضة". والنهد الجميل هو البارز القائم المكور: "بارزة النهدي ذات حسن وجمال"، "قائمة النهدي"، ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه". ولتأكيد حسنه وجماله شُبه بالرمان: "نهدين كرمانتين"، "وصدر فيه نهديان كفحلي رمان". ووصف الصدر بالجواهر الذي يحمل نهدين: "وصدر كأنه جواهر ونهدين كأنهما رمانتان". ويكتمل جمال النهدي بلونه العاجي المشرق الوضاء: "ولها نهديان كأنهما من العاج، يستمد من إشراقهما القمران". ويشبه الصدر بالطريق الواسع

¹⁷ الجمال: الفضة.

¹⁸ الرضاب: له الكثير من المعاني: الريق، شهد العسل، فئات المسك، قطرات الندى.

¹⁹ الجلاب: شراب رمضاني يحمي من العطش، وهو دبس الزبيب أو التمر.

²⁰ المدامة: الخمر.

²¹ الكوثر: الشراب العذب.

²² السلسبيل: الشراب العذب الذي يمر بسهولة ليشفى الحلق/الخمر.

الذي يحتوي على ثديين كأنهما وعاءين من عاج: "ولها صدر كجادة الفجاج²³ فيه ثديان كأنهما حقان من عاج". ووصفت الأنتى بأنها خرعوبة²⁴: "خرعوبة ناعمة النهدي".

4- الخصر:

تتابع الحكايات في كتاب "ألف ليلة وليلة" بعرض مقاييس جمال الأنتى، لتصل إلى الخصر الذي يجب أن يكون ضعيفاً نحيلاً: "وخصر نحيل". كما شبه الخصر بأنه أنحل من جسم شخص أتعبه الحب وأمراضه الكتمان وعدم البوح بعشقه: "...وخصر أنحل من جسم من أضناه الهوى وأسقمه الكتمان".

5- البطن:

الواضح من خلال النصوص أن المرأة المرغوبة هي السمينة البيضاء اللون، الناعمة ذات الأرداف الثقيلة والأفخاذ الغلاظ كما سنرى.

أما البطن فهي المطوية تحت الثياب، والرائحة الطيبة التي تفوح من لحم بطنها: "...وبطن مطوي تحت الثياب يفوح المسك من أعكانه²⁵". وهي البيضاء كالثلج، والمحبوبة. هي من كثر في طيات بطنها زيت البان²⁶، الذي يتميز برائحته الخفيفة الطيبة، والذي يجعل البشرة ناعمة الملمس: "لها بطن أبيض من الثلج، وكل عكسة من عكسة طياته أوقية دهن البان". وقد كثرت الجمل التي تؤكد على طيات البطن والرائحة الزكية: "وبطن طيات وأركان يبتهل فيها العاشق الولهان، وسرّة تسع أوقية مسك طيب الأردن²⁷"، و"بطن مطوي الأعكاف، وسرّة كأنها حق عاج بالمسك ملآن". وقد وصفت طيات البطن بالنسيج المصري الفخم المشهو: "ولها بطن ملوية كطي القباطي المصرية²⁸".

²³ الفجاج: الواسع.

²⁴ خرعوبة: الشابة الحسنة الخلق، اللينة، دقيقة العظام، الناعمة.

²⁵ الأعكان: الأطواء في البطن من السمن.

²⁶ البان: المورزفا، قامتها طويلة ممشوقة، سميت هذه الشجرة بشجرة الحب، شجرة البسر، شجرة الحياة، يستخرج منها زيت طيب الرائحة.

²⁷ الأردن: شريف طاهر.

²⁸ القباطي المصرية: نسيج تراشي كُسيبت به الكعبة.

6- الأرداف:

هي التي تعرف بالمؤخرة أو الإليتين، التي يفضل أن تكون كبيرة وثقيلة، كالكتل الرملية: "وردف ثقيل"، "وردف أثقل من الكتبان"، "وردف ثقيل، إن أقبلت فنتت وإن أدبرت قتلت، تأخذ القلب والناظر". ومن جمال الأرداف أن تتلاطم ببعضها كما تتلاطم أمواج البحر: "أردافها تتلاطم كالأمواج في البحر الرجراج"، "وأرداف تموج كأنها بحر من بلور أو جبال من نور".

وقيل في جمال الأرداف الكبيرة: "ثقيلة الأرداف مائلة خرعوبة ناعمة النهدي".
كما قيل أيضاً: "لها كفل²⁹ تعلق في ضعيف وذاك الردف لي ولها ظلوم
فيوقفني إذا فكرت فيه ويقعدها إذا همت تقوم".

7- الساقان (الفخذان والرجلان):

يبدو من خلال النصوص أن من المستحسن أن تكون الأفخاذ غلاظ، سمان، ناعمة، وكأنهما من الدر والمرمر: "أخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري". كما قيل فيهما: "ضخمة الساقين.. وفخذان ملتقان كأنهما من الدر عمودان"، "وفخذين كأنهما من المرمر، عامودان تأخذ القلوب بطرف كحيل"، " ويحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان، وما غير ذلك من الأوصاف فلا يحصيه ناعت ولا وصاف، ويحمل ذلك كله قديمان لطيفان صنعته المهيمن الديان".

حتى أن النصوص وصفت ما بين الفخذين بأنه ناعم مريرب: وأفخاذ غلاظ سمان كأنهما عواميد رخام، أو فخذتان محشوتان من ريش النعام، وما بينهما شيء كأنه أعظم العقيان، أو أرنب مقطوش الأذان، له سطوح وأركان".

8- العقل، المنطق، الكلام:

²⁹ الكفل: العجز للإنسان والدابة.

لم يكتفِ كتاب "ألف ليلة وليلة" بوضع مقاييس جمال الأنثى، التي تثير الجنس فقط، بل تابع بطرح أمور أخرى لتكتمل هذه المقاييس بعقل جامع ومنطق سليم وكلام رخم وعلم وأدب...

فكلامها رقيق كالنسيم الذي يمر على الأزهار، ويشفي المريض: ".وكلامها أرق من النسيم إذا مرّ على زهر البستان"، ".وكلامها يشفي العليل"، "رخيمة الكلام"، فما وجدت أحسن من حديثها، ولا أعذب من كلامها". وعندما تتطلق كأنها تتثر الجواهر من ثغرها، فتأسر الألباب بمعانيها: "إن نطقت فاللؤلؤ الرطيب يتناثر من فيها، ويجذب القلوب بركة معانيها". ولها ابتسامة جميلة ساحرة: "إن تبسمت ظننت البدر يتلألأ من بين شفثتها...". وهي من حسنها وجمالها تسلب القلوب: "تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامتها، وترميه من عيونها بنبل سهامها". بالإضافة إلى ذلك فهي ذات عقل حاد، تعرف العلوم المختلفة: ".ذات عقل وافر من الأدب باهر"، "مع كونها بديعة الحسن والجمال، بحيث لا نظير لها في عصرها، تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية...". وقد قيل أيضاً:

"لها في سماء العلم سبع كواكب ورأي وعلم فيهما منتهى العقل".

أما "الإكسسوارات" التي تلبسها فتزيدها رونقاً وجمالاً: ".وفي وسطها زنار مرصع بأنواع الجواهر، وقد ضم خصرها وأبرز ردفها، فصارا كأنهما كتيب من بلور تحت قضيب من فضة". وفي أذنيها حلق من البلخش³⁰ النفيس، وفي عنقها عقد من الجواهر النادرة". ثم ورد الكثير من الأشعار التي تغنت بالمرأة وجمالها وحسنها:

"قيا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدها الحشر
وكم من قتيل مات من كمد وفي طريق هواها الخوف والخطر".

³⁰ البلخش: هو اللعل بالفارسية، هو من الجواهر، أحمر شفاف، يضاهاى الباقوت بلونه ورونقه.

خاتمة:

إستطاع هذا البحث المتواضع أن يجمع من بين دفات كتاب "ألف ليلة وليلة" وقصصه النصوص التي تشير إلى جمال الأنثى، وصنفها بشكل شمل كل جسمها بتفاصيله وقسماته. وبهذا نكون قد وضعنا مقاييس الجمال لمرحلة زمنية هي مرحلة كتابة القصص، وعند مختلف الشعوب والأجناس التي شاركت بليالي وحكايات هذا الكتاب الممتع.